

فورين بوليسي: هجوم حماس غير كل شيء



نشرت مجلة فورين بوليسي الأمريكية مقالاً للباحث الأمريكي ستيفن كوك يستعرض المآلات المحتملة لهجوم حركة حماس على إسرائيل.

يبدأ الكاتب مقاله بالقول إنه لم يكن من المفترض أن يحدث هذا. كان الجيش الإسرائيلي المتعطر والأجهزة الأمنية الفعالة هي من حشرت حماس في قطاع غزة. بالتأكيد، كان هناك صراع كل بضع سنوات اتبع نمطاً مشابهاً: استفزاز، وهجمات صاروخية لحماس، وضربات جوية إسرائيلية، ووساطة مصرية، ثم هدوء مرة أخرى. في غضون ذلك، تراكمت الإنجازات الدبلوماسية لإسرائيل حيث وسعت دائرة السلام لتشمل الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمغرب والسودان. حتى قبل أيام قليلة، كانت واشنطن تناقش متى ستنضم المملكة العربية السعودية إلى ركب التطبيع مع إسرائيل.

كان ذلك عندما بدأ الناس في تلقي تنبّهات إخبارية على أجهزتهم لإبلاغهم بأن حماس قد غزت إسرائيل، وقتلت عديداً من المدنيين والجنود، ولم تُخضع بعد بينما انهمر ما بين 3000 إلى 5000 صاروخ على عسقلان وأشدود وتل أبيب.

الآن، كل ما قيل عن «عملية طوفان الأقصى» التي قامت بها حماس، كما أطلق على هذا الهجوم الأخير - أنه غير مسبوق، أو قفزة نوعية، أو 9/11 الإسرائيلية - أصبح كليشيهات. ومهما أراد الناس وصفها، يجب أن يكون واضحاً أن الفتك الوحشي الذي نتج عن غزو حماس لإسرائيل، وهي كلاشييه آخر، قد غير كل شيء.

وقال الكاتب إن النمط المألوف للصراع بين إسرائيل وحماس أصبح الآن شيئاً من الماضي. ببساطة لا توجد طريقة لن تطلق بها الحكومة الإسرائيلية العنان لجيشها على قطاع غزة على الأرض وفي الجو والبحر لتدمير حماس، وفي هذه العملية، قتل أو القبض على قادة مثل إسماعيل هنية ومحمد ضيف.

شرق أوسط جديد

نتيجة لذلك، وحسب ما يتابع الكاتب، فإن القضايا التي اهتم بها عالم خبراء الشرق الأوسط والمحللين والمسؤولين قبل أسبوع واحد فقط - أهلية إسرائيل لبرنامج الإعفاء من التأشيرة الأمريكية واحتمال التطبيع السعودي الإسرائيلي - تبدو فجأة غير ذات صلة. ستكون نقطة البداية للشرق الأوسط الجديد هي إعادة احتلال إسرائيل لقطاع غزة، وليس سفارة إسرائيلية في الرياض.

ولا يشكل هذا الوضع الخطير إلا مفاجأة حقيقية، وذلك لأن الافتراضات السيئة بشأن المنطقة كانت سبباً في إعاقة الرؤية الواضحة للديناميكيات السياسية المعقدة في الشرق الأوسط. وهذا الأمر حاد بشكل خاص عندما يتعلق الأمر بالقضية الفلسطينية وتضاءلها المزعوم بالتوازي مع المسيرة نحو التكامل الإقليمي، وفكرة أن المشكلة تكمن في الاحتلال الإسرائيلي، والاعتقاد المستمر - على الرغم من وجود أدلة كثيرة - بأن الدبلوماسية الأمريكية يمكن أن تغير سلوك إيران للأفضل.

وأوضح الكاتب أنه وعلى الرغم من أن بعض حكومات الشرق الأوسط تريد إقامة علاقات مع إسرائيل، فإن قضية الحقوق الفلسطينية لم تفقد أهميتها للغالبية العظمى من العرب الذين لديهم نظرة قاتمة عن التطبيع.

وفي خضم مستنقع العنف الذي شهدته الأيام الأخيرة، ضاعت حقيقة مفادها أن إسرائيل احتلت الضفة الغربية لمدة 56 عاماً، وتفرض، إلى جانب مصر، طوقاً حول قطاع غزة. ومن السمات البارزة لحياة الفلسطينيين في هذه المناطق العنف والسلب والتجريد من الإنسانية.

وفي ظل هذه الظروف، هناك عدد قليل من الفلسطينيين الذين يعتبرون المقاومة غير شرعية. ولعل أفضل ما قيل في هذا الصدد ما عبر عنه في مقابلة إعلامية مصطفى البرغوثي، رئيس المبادرة الوطنية الفلسطينية، الذي لا ينحاز إلى حماس ولا منافستها السياسية فتح، إذ ركز على ما يراها مسؤولية إسرائيل في ما يحدث، وقال لمراسل سي إن إن فريد زكريا إن هجوم حماس كان رد فعل على مجموعة من الأعمال، بما في ذلك هجمات المستوطنين وطردهم الفلسطينيين في الضفة الغربية، واعتداءات المتطرفين الإسرائيليين على الأماكن المقدسة الإسلامية والمسيحية، وتطبيع إسرائيل مع الدول العربية، الذي وصفه البرغوثي بأنه محاولة من رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو «لتصفية» الحقوق الفلسطينية والقضية الفلسطينية.

ربما كان من الصعب على عديد من المشاهدين أن يسمعوها في وقت ظهر فيه الرعب الكامل لقتل مئات المدنيين الإسرائيليين، لكن البرغوثي وصف الوضع بدقة فيما يخص عديد من الفلسطينيين، وفق ما يختم الكاتب.